في الأدب المقارن :

الرديف في الشعر الشرقي

للأستاذ عطا الله ترزي باشي

إن الأشعار الشرقية في مجالها وجوهرها تتشابه إلى حد عظيم ، وقد حصل هذا التشابه نتيجة بعض العوامل التي أثرت في كل من هذه الأشعار . فقد اصطبغ الأدب الشرقي بوجود هذه العوامل ، وهي كثيرة ، بلون خاص يميزه في أساسه عن الأدب الغربي تمييزا بينا . وينبغي أن نجعل رابطة الدين في مقدمة تلك العوامل

لقد كان أثر الإسلام عظيما في الحياة الأدبية عند العرب . ونجد أن هذا الأثر قد امتد كذلك إلى الآداب الشرقية الأخرى . فأصبحت هذه الآداب متأثرا بعضها ببعض ؛ فقد تأثر الأدب الفارسي بالأدب العربي وبالعكس ، كما أن الأدب التركي تأثر بهما ، حتى لأصبح الشاعر التركي في وقت من الأوقات يجيد اللغتين العربية والفارسية بقدر ما يجيد لغته الأصلية فينظم فيهما الأشعار . وقد خلف كثير من شعراء الترك دواوين كثيرة في الفارسية والعربية

وكذلك كان حال الشعراء الفرس ؛ فقد اصطبغ الشعر الفارسي بطابع الشعرين العربي والتركي . وهكذا قل من الشعر الأردي فإنه مزيج من عدة لغات إسلامية حية أهمها الفارسية والعربية والتركية وعليه فقد وجد ، بسبب هذا الدين الحنيف ، اتصال وثيق بين الأشعار الشرقية

ولقد بلغ هذا التشابه درجة توحدت فيها قواعد الأوزان وكثير من الأسس الأخرى الموضوعة للمنظومات الشعرية في الشرق

ومع ذلك كله فإن كلا من هذه الآداب يحتفظ بطابعه الخاص الذي يميزه عن غيره . فهنالك مظاهر قوية تميز الأشعار الشرقية بعضها عن البعض الآخر ، وهي التي تستند عليها قواعد نظم الشعر من بعض الوجوه

ويدور هذا المقال حول « الرديف » الذي يميز بالشعرين التركي والفارسي وغيرهما من الأشعار الشرقية عن الشعر العربي تمييزا واضحا

والرديف في اللغة يعني الراكب خلف الراكب وكذلك الردف بكسر الفاء (المنجد) . وقال الفيروز آبادي : الردف بالكسر الراكب خلف الراكب كالمرتدف والرديف . . وكل ما تبع شيئا . . والليل والنهار وهما ردفان . . وجليس الملك عن يمينه يشرب بعده ويخلفه إذا غزا . . الخ (القاموس المحيط)

وقال القاموس أيضا الردف في الشعر حرف ساكن من حروف المد واللين يقع قبل حرف الروي ليس بينهما شيء (١)

وسكت كل من فريد وجدي والبستاني في دائرتيهما عن ذكر اصطلاح الردف أو الرديف في الشعر

ومما يجدر الإشارة إليه أن الأدبين التركي والفارسي يفرقان بين الردف والرديف . فالشعر (المردف) بفتح الدال اصطلاحا هو غير الشعر (المردف) بتشديد الدال ، وقد عالجنا الأخير في هذا المقال

ومن الجدير بالذكر أيضا أن الشعرين التركي والفارسي

وخافت أيضا من أن يمتد نفوذ فرنسا إلى الدول الأمريكية التي كانت تستأثر بجانب كبير من تجارتها الخارجية ، ولكن احتجاجها ذهب أدراج الرياح فسارع وزير خارجيتها كانيج إلى الاعتراف باستقلال الدول الأمريكية الجديدة « حتى ينشئ » كما قال « عالما جديدا يوازن ما تحصل عليه غيره من الفوائد في العالم القديم »

فوينا — أبو الفتوح عطيفة

(١) أنظر القاموس المحيط ط ١٩٣٣ ، ج ٣ ، ص ١٤٣

يختلفان عن الشعر العربي حتى في الردف . فقد جوز العرب الردف في حرفي الواو والياء، ذاهبا إلى صحة القافية بين (الفعيل) و (الفعول) . مثال ذلك ما قاله المتنبي في رثاء محمد بن إسحق التنوخي في قصيدة مطلعها :

إلى لأعلم واللبيب خبير أن الحياة وإن حرصت غرور

فجعل كلا من الكلمات (خبير ، غرور ، بصير ، نور ، نسير ، طور . . الخ) قافية لقصيدته . وهذا الاستعمال غير جائز في الشعرين التركي والفارسي إطلاقا

* * *

والرديف في اصطلاح شعراء الترك والفرس لفظ يتكرر في نهاية كل بيت من الشعر(٢) . فهو عبارة عما تلا حروف الروي من حروف أو كلمات في البيت مباشرة (٣)

وعلى هذا الاعتبار فإن لفظ الرديف يتكون من حرف أو حرفين أو أكثر ، أو من كلمة أو كلمتين أو أكثر، إذ يكرر الشاعر أحيانا وسط البيت أو ثلثه كما يتبين من الأمثلة الآتية :

قالت الشاعرة التركية (فطنت) :

غنای قلبه سبب دولت قناعت (ایمش

جهانده جای فرح کوشه فراغت (ایمش

ومعناه : أن من بواعث استغناء الفؤاد القناعة ، ومن دواعي السرور في هذا الكون الانزواء إلى الخلوة !

وقال الشاعر الفارسي العظيم (عمر الخيام) في إحدى رباعياته :

آنان که در آمدند ودوجوش (شدند

آشفته ناز وطرب نوش (شدند

خوردنده نیاله ومدهوش (شدند

درخواب عدم جمله هم آغوش (شدند

وترجم هذه الرباعية إلى اللغة التركية نظما شاعر تركيا الأول وسفيرها السابق في الباكستان الأستاذ يحيى كمال ، مراعيا فيها قواعد الردف :

أولرکه کاوب بودهره یرجوس (أولرق

أذواقه صاریلدیلر قدح نوش (أولرق

إیجدکاری باده لره مدهوش (أولرق

صوك أویقویه والدیلرهم آغوش (أولرق

بمعنى « هاج الذين غاروا في بحر المسرة يشربون ، مرحين مدهوشين ، من كؤوس فناموا ، وهم سائرون إلى الفناء ، متعانقين . »

ولهذا الشاعر التركي غزل مردف مشهور ، ننقل إلى القراء بعض أبياته ، ومنه يتبين أن الرديف يتكرر في نهاية الشطر الثاني من كل بيت من الشعر بخلاف مطلعه حيث يتكرر في شطريه (٤) :

آهسته جك کوزه کاری مهتاب (أویاغون

بر عالم خیاله دالان آب (أویاغون

آغوش نوبهارده خوا بیده درجهان

سورسون صباحی حشره قدرخواب (أویاغون

ای کل سکوته وارمایی أمرابله بلبله

کاشنده مست ذوق أولان أحباب (أویاغون

ومعناه : « مهلا أيها الملاح لا تحرك بمجدافيك سريعا فيهتز الماء اللجي الغارق في الخيال ، فيوقظ ضوء القمر !

إن السكون مثال رائع وقد ضمه الربيع البهي إلى صدره ، فليتنا لم نتيقظ من سنة الكرى ، وليت الصبح أبد الدهر لم ينجل ! .

أيها الورد ناد البلبل يسكت ، لكي لا يتنبه الأحبة وهم في الروض نائمون فرحين »

* * *

تلك أمثلة ذكرناها والرديف فيها متكون من كلمة واحدة،

(٢) انظر معجم المعلم ناجي في اللغة العثمانية : مادة « الرديف »
(٣) المعلم ناجي أيضا في كتابه الاصطلاحات الأدبية ج ١ ، ص ٨٤
(٤) وكذلك الرباعيات المردفة فان الرديف يتكرر في نهاية كل شطر منها على الأغلب

وإليكم هذا المثال وفيه الرديف كلمتان :

بنم تك هيج كيم زار وپريشان (أولسون يارب
أسير دردعشق وداغ هجران (أولسون يارب

يقول الشاعر : رب لا تجعل أحدا من الناس مثلي ، يشقى في نار الفراق مضطجعا بآلام الغرام

ويصادف أن يستوعب الرديف كل البيت باستثناء كلمة تترك للقافية ، كما قال الشاعر :

صفا (ى عشق كيم آكلير كيمكله سويلشه لم
وفا (ى عشقى كيم آكلر كيمكله سويلشه لم

بمعنى : من يفهم صفو الغرام ا مع من نتحدث !!. ومن يفهم معنى الوفاء في الغرام ا مع من نتحدث !!.

ومن النادر جدا استعمال مثل هذا البيت — الذى جرى مجرى المثل — في الشعر

ولا يتسع المقال أن نسرد الأمثلة على الرديف الذى أصبحت الدواوين التركية والفارسية زاخرة به ، بل وأن الأشعار المردفة في هذين الأدبين تفوق الأشعار غير المردفة عددا . والنوع الأول (أى الردف) أسهل نظما للشاعر وأكثر تأثيرا على السامع من غير الردف . وأن نظم الشعر الخالى عن الرديف أصعب من نظم الشعر المردف . بيد أن المردف أكثر انسجاما ، وأشد وقعا من حيث النغمات من غير المردف

ولا يصادف هذا اللون من الشعر في الأدب العربي إلا ماندر، بل وذهب البعض إلى أن الرديف غير وارد في الشعر العربي إطلاقا . فيذكر الشاعر التركى الشهير « نامق كمال » (٥) أن الرديف خاص بالشعرين التركى والفارسى دون الآداب الأخرى (٦) وإلى هذا يشير الدكتور طه حسين باشا (٧) قائلا : « إن الشعر العربي وحده ، هو الذى يختص بالتزام قافية واحدة في القصيدة »

(٥) راجع كتابه « تخريب خرابات » ص ٣٦

(٦) ونرى أن الرديف وإن كان يعتبر من المميزات الأساسية لهذين الأدبين إلا أنه ورد في الأشعار العربية ، وحتى في الأشعار الغربية، أمثلة عليها كما يتبين ذلك من هذا المقال ..

(٧) في كتابه « تجديد ذكرى أبي العلاء المعرى » ط ٣ ، ص ٢١٧

* * *

واقد اشتكل على البعض من الكتاب أمر التفريق بين الرديف والإيطاء ، فخلطوا بينهما خلطا عجيبا يكاد يذهب من الردف جماله

والإيطاء هو أن يتكرر لفظ القافية ومعناها واحد ، كما قال امرؤ القيس في قافية — سرح مرقب — وفي قافية أخرى — فوق مرقب — وليس بينهما غير بيت واحد . .

ويلاحظ أن الإيطاء كلما تباعد كان أخف . وكذلك إن خرج الشاعر من موضوع إلى موضوع كأن يخرج من مدح إلى ذم ..

ومن الإيطاء قول ذؤيب :

سبقوا هوى وأعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع

ثم قال في صفة الثور والكلاب :

فصرعنه تحت المجاج فجنبه متترب ولكل جنب مصرع

فكرر تلك البيت . . . ولو أن الشاعر كان قد التزم القافية في موضعى « فتخرموا » و « متترب » لعددنا « ولكل جنب مصرع » رديفا

وإذا اتفق الكلمتان في القافية واختلف معناهما لم يكن إيطاء . وقال الفراء إنما يواطئ الشاعر عن عمى . وإذا كرر الشاعر قافية للتصريع في البيت الثاني لم يكن عيبا . نحو قول امرئ القيس :

خليلى مرابى على (أم جندب
ثم قال في البيت الثاني : لدى (أم جندب (٨)

والواقع أن هذا المثال الأخير لا يخرج عن كونه حالة من حالات الرديف . إذ ينبغى أن نعتبر كلمتى (أم جندب) رديفا

ويقرب من هذا ما قاله توبة مخاطبا بعل ليلى الأخيلية :

لعلك يا تيسا نزا في مريرة تعاقب ليلى أن ترانى (أزورها
على دماء البدن إن كان بعلها يرى لى ذنبا غير أنى (أزورها

(٨) أنظر « العمدة في صناعة الشعر ونقده » تأليف أبي على القيروانى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ ج ١ ، ص ١١٣

وهذه قطعة مترجمة من شعر الشاعر الأردى الكبير (محمد إقبال) مردفة فى الأصل . وقد حافظ المترجم فى نفس الوقت على رديفها فى العربية :

اخلقن دنياك كى تحيا بها ... سر هذا الكون بالحق (الحياة
هى فى الحرية بحر زاخر ... وغدير فى حمى الرق (الحياة
تختفى فى الطين سرا وترى ... بقوى التسخير والخلق (الحياة
هى فى الغافل ترب هامد ... وهى فى اليقظان سيف جاهد

وفى هذا يقول الدكتور عبد الوهاب عزام بك فى هامش المقال الذى نشره فى العدد الأول من مجلة الثقافة [٩] حول الأدب الهندى الإسلامى :

« إن شعراء الفارسية والأردية [١٠] يجيزون أن تكرر كلمة واحدة [١١] فى آخر الأبيات ويسمونها رديفا ، ولكنهم يلتزمون قبلها قافية . فالحياة فى الأبيات الثلاثة رديف ، والقافية فى الكلمات التى قبلها »

وينبغى اعتبار الضمائر التى تلحق بأواخر الأبيات فى الشعر العربى رديفا كما يتبين من هذه الأمثلة :

قال المرى فى لزومياته :

مل المقام فكم أعاشر أمة ... أمرت بغير صلاحها أمراؤ (ها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها ... فمدرا مصالحها وهم أجراؤ (ها

فهنا ينبغى أن نعتبر (ها) فى نهاية الأبيات رديفا

وقال سالم بن وابصة :

لعمرك ما أهويت كفى لريبة ... ولا حملتنى نحو فاحشة رجلى
ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها ... ولا دلنى رأيى عليها ولا عقلى

وهنا ياء المتكلم رديف . . وفى المثال الآتى الضمير « نا » رديف .. وهو من شعر بشامة النهشلى

إنا محيوك يا سلمى فحيينا ... وإن سقيت كرام الناس فاسقينا
وإن دعوت إلى جلى ومكرمة ... يوم سراة كرام الناس فادعينا

وإلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التى يعجز المقال عن ذكرها . . .

ويشير الأستاذ محمد مهدى البصير [١٢] إلى نوع من الشعر المردف اخترعه البغداديون لسرد الحكايات والخرافات يسمى بـ (الكان وكان) وهو نوع من الشعر العامى قافيته مردوفة دائما ... وقد تطور حتى نظمت به الحكم والمواعظ ولكنه ظل محافظا على صبغته العامية إلى أن انقرض . . .

* * *

ومهما يكن من أمر فإن العرب كما سبق لم تستعمل فى أشعارها الرديف إلا نادرا جدا . إذ يصعب على المحقق الباحث أن يعثر فى الدواوين الشعرية على أمثلة وافية من الشعر العربى المردوف . . أما الأمثلة التى أتينا بها فى هذا المقال وغيرها من الأشعار المردفة إنما وردت على لسان شعراء العرب عرضا من غير قصد . . هذا بعكس ما عليه الأمر فى الشعرين التركى والفارسى ، فإن الأشعار المردفة فيهما كثيرة . بحيث أنك لا تجد شاعرا من شعرائهما إلا وقد استعمل هذا اللون من الشعر فى ديوانه [١٣]

ولا يخفى ما لهذا النوع من الشعر من اللطافة والجمال والحلاوة ما لا تتذوقه فى غيره من أنواع الشعر ، فترى القارئ ينجذب إليه بقوة السحر الذى يتجلى فى سلاسة ألفاظه وسهولة تراكيبه ، ولذا يفضل الكثيرون من شعراء الترك والفرس نظم الأشعار المردفة . وقد شاع استعمال هذا اللون من الشعر فى الغزل أكثر من شيوعه فى باقى الأغراض

ولا غرابة فى أن نعثر فى آداب الأمم الأوربية على أمثلة لهذا النوع من الشعر ، لا نشك فى أن شعراءهم قد اقتبسوها من الشرق . وخير مثال نورده هنا القصيدة الإنكليزية التى

---

(٩) الصادر بتاريخ ٣ يناير ١٩٣٩

(١٠) والتركية وغيرها . .

(١١) أو أكثر . . أو حرف أو أكثر ، كما وضعنا فى هذا المقال

(١٢) راجع كتابه : الموشح فى الأندلس وفى المشرق ، ص ١٠

(١٣) وهناك فرق غير واضح بين الشعرين التركى والفارسى المردفين وهو أن الرديف فى الثانى غالبا ما يتكون من كلمة واحدة بخلاف الأول حيث يكثر فيه الأشعار المردفة التى رديفها كلمتان أو أكثر . .

أبو الثناء الألوسي الكبير

« بمناسبة مرور مائة عام على وفاته »

للأستاذ محمود العبطة

— ٣ —

عزله عن الإفتاء :

بعد سنين حافلة بجليل الأعمال ، يانعة بنهضة العلم وتقدم الأدب ورقي المعارف ، يراها الألوسي الكبير بعلمه الوافر وأدبه الثر ، وشخصه اللامع ... بعد هذه السنين التي هي بمثابة ضوء لامع ساطع يمده شهاب الدين الألوسي بالقوة والحياة ، في تلك السنين المظلمة المعتمة ، وبعد تلك السنين الخصبة صدرت إرادة الخليفة العثماني بنقل الوالي المصلح على رضا من ولاية بغداد وتعيين الوالي نجيب باشا مكانه (كانت ولايته عام ١٨٤٢ م) ولم يكن الوالي الجديد يقل عن الوالي القديم حبا للاصلاح وإيثارا للأمن والسلام ، وإن كان يفرق عنه في إيثاره القوة حين ينفع العقل ، والتصرف الصحيح ، ويفرق عنه أيضا في منهجيته وكبريائه ، وعذره في الخيلاء والكبرياء أنه من بيت السلاطين ، ويجري في عروقه الدم الملوكي ! وكما كانت بداية على رضا دليل شؤم ونحس على الألوسي ، إذ سجن فيها وعذب ، فقد كانت نهاية ولايته دليل شؤم ونحس على الألوسي بالذات وعلى (بغداد) التي وجدت فيه خير باعث لاسمها ومجدها أخيرا . . جاء محمد نجيب للولاية ، ولم يكن يعلم حالة أهلها وما هم عليه من تحزب وشقاق ، وحسد ونفاق ، وبعد أن استقر به المقام وتسلم زمام الولاية ، تحركت جيوش البغي والنفاق ، التي أخرسها عدل علي رضا ، إذ تمكن أعداء الألوسي الكبير أن يفهموا الوالي الجبار أن مفتي بغداد يكرهه ويكيد له ، وأثر ما تمكن هذا القول من قلب الوالي ، تجمع الأعداء وعددهم أكثر من مائتين تبعهم جمع كبير من السوقة والرعاع ثم قصدوا قصر الوالي نجيب الواقع في خارج بغداد القديمة وعلى شاطئ دجلة . وعندما قربت الجموع من قصر الوالي اندهش مما رأى وقال في سره إن ثورة حدثت ، أو انقلابا يهدد ولايته وخليفته بالويل والثبور ، وعندما استطلع الخبر أخبره زعماء المظاهرة أن سبب البلاء ورأس الفتنة هو أبو الثناء الألوسي مفتي الحنفية الذي يشاركه فيها واعظ الجيلي ، وأن من الخير وقطعا لدابر الفساد عزل المفتي الألوسي من الفتوى ونفي الواعظ إلى مدينة البصرة ! (١) فأجاب الوالي طلب المتظاهرين وأصدر حالا أمره بعزل الألوسي من الإفتاء ، وذلك عام ١٢٦٣ هـ (٢) وقد سبقت هذه الحادثة ، حادثة أخرى تصور درجة حقد الوالي على الألوسي ودرجة اؤمه أيضا ، وتلك الحادثة الأخرى هي أن كتابا ورد الألوسي المفتي من قصر السلطان في الآستانة ، يطلب فيه رجال القصر حضور مفتي بغداد إلى العاصمة العثمانية للاشتراك في ختان أبناء السلطان عبد المجيد ؛ فطلب الوالي من المفتي الاعتذار عن حضور الختان ، فأجاب المفتي الألوسي طلبه وأرسل رسالة يعتذر فيها عن الاشتراك في الحفلة (٣) والوالي الذي يطلب من الألوسي الاعتذار عن السفر يقوم بدور الثعلب الراوغ فيرسل إلى القصر العثماني رسالة يتقول فيها ما يشاء ويتهم الألوسي بأنه لم يحضر الحفلة إلا كبرياء واحتقارا ! (٤)

مطلعها :

She is a rich and rare (land
Oh-she's a fresh and fair (land

وهي من نظم الشاعر المعروف (توماس أوزبرن) . ويلاحظ هنا أن الشاعر كلمة « لاند » في آخر الأبيات رديفا ، والتزم في الكلمات التي قبلها قافية ..

كركوك — العراق — عطا الله ترزي باشي

---

(١) المسك الأذفر (ص : ١٣)
(٢) أعلام العراق (ص : ٢٤)
(٣) المصدر السابق
(٤) المصدر السابق